سلسلة تفريغات شبكة بينونة

إياكم إياكم إياكم ومُحقّرات الذنوب

الشيخ د. محمد بن عبد الله بن غيث

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

من هنا باقي التفريغات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغا لمحاضرة

بعنوان

إيَّاكم ومحقرات الذنوب

للشيخ:

د. محمد بن غيث غيث

-حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ...

أيها الأفاضل الأكارم حيَّاكم الله، وبارك مسعاكم، وشكر أعمالكم، وجمعنا وإياكم في مستقر رحمته وفي دار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

محاضرتنا في هذه الليلة كلمات يسيرات عنوانها: إيَّاكم ومحقرات الذنوب.

وهذا تحذيرٌ من الاستهانة بما يُحتقر ويُستصغر من الذنوب والخطايا، وهذا التحذير تحذير نبوي جاءت به السنة عن نبينا –عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم–.

فعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»(١).

وعن عوف بن الحارث أن عائشة –رضي الله عنها– أخبرته أن رسول الله ﷺ قال لها: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا»(٢).

فالمحقرات لا تظنها هيّنة بل لها من الله طالب، ومتى اجتمعت أهلكت، والناس سيُحاسبون على مثاقيل الذر، وكتابهم لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها؛ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾ [الكَهْف الآية ٤٩].

---

(١) – أخرجه أحمد في المسند (٢٢٨٦٠).

(٢) – أخرجه أحمد في المسند (٢٤٤١٥).

قال ابن كثير: "﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أَيْ: كِتَابُ الْأَعْمَالِ، الَّذِي فِيهِ الْجَلِيلُ وَالْحَقِيرُ، وَالْفَتِيلُ وَالْقِطْمِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أَيْ: مِنْ أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ أَيْ: يَا حَسْرَتَنَا وَوَيْلَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي أَعْمَارِنَا ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ أَيْ: لَا يَتْرُكُ ذَنْبًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا وَلَا عَمَلًا وَإِنْ صَغُرَ ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ أَيْ: ضَبَطَه، وَحَفِظَه.

قال: وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ، بِإِسْنَادِهِ فِي الْآيَةِ بإسناده، إلى سعد ابن جُنَادَةَ قَالَ: لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْن، نَزَلْنَا قَفْرًا مِنَ الْأَرْضِ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا، مَنْ وَجَدَ عُودًا فَلْيَأْتِ بِهِ، وَمَنْ وَجَدَ حَطَبًا أَوْ شَيْئًا فَلْيَأْتِ بِهِ. قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى جَعَلْنَاهُ رُكامًا».

اجتمعت الأعواد فأصبحت مرتفعة.

قال: "فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذَا؟ فَكَذَلِكَ تُجْمَعُ الذُّنُوبُ عَلَى الرَّجُلِ مِنْكُمْ كَمَا جَمَعْتُم هذا. فليتق الله رجل ولا يُذْنِبْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، فَإِنَّهَا مُحْصَاة عَلَيْهِ».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ أَيْ: مِنْ خَيْرٍ ومِنْ شَرٍّ .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أَيْ: فَيَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ". فإياكم ومحقرات الذنوب.

قال ابن القيم: "الْعَقَبَةُ الرَّابِعَة" أي العقبات التي يعترض بها الشيطان طريقك إلى الله ، يضع أمامك عقبات.

" الْعَقَبَةُ الرَّابِعَة: عَقَبَةُ الصَّغَائِرِ، فَكَالَ لَهُ مِنْهَا بِالْقُفْرانِ" أي بالشيء الكثير ، أمد الإنسان بالصغائر.

قال: "وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ مَا غَشِيتَ مِنَ اللَّمَمِ" الشيطان يوسوس للإنسان، يمده بالصغائر ثم يوسوس له، ويُحدّث نفسه بوسوسة الشيطان.

يقول: "مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ مَا غَشِيتَ مِنَ اللَّمَمِ أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهَا تُكَفَّرُ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ وَبِالْحَسَنَاتِ.

قال: وَلَا يَزَالُ يُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَهَا حَتَّى يُصِرَّ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ الْخَائِفُ الْوَجِلُ النَّادِمُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ، فَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ أَقْبَحُ مِنْهُ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ، وَقَدْ قَالَ النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، ثُمَّ ضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلًا بِقَوْمٍ نَزَلُوا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَعْوَزَهُمُ الْحَطَبُ»".

أي لم يجدوا حطبًا متوفرًا.

"«فَجَعَلَ هَذَا يَجِيءُ بِعُودٍ، وَهَذَا بِعُودٍ، حَتَّى جَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، فَكَذَلِكَ فَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ تَجْتَمِعُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ يَسْتَهِينُ بِشَأْنِهَا حَتَّى تُهْلِكَهُ»"[1].

فالذنب لا يُستهان به ولو كان من الصغائر، ليس هذا من شأن المؤمن.

روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا »[2].

المؤمن يخاف من ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف في كل لحظة أن يسقط عليه، وأما من لم يهتم بالذنوب كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا بلا مبالاة ، فالمؤمن يخاف من الذنب.

- ولهذا وصف الله المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾[المُؤمِنُون الآية ٦٠].
- وقال في وصفهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطُّور الآية ٢٦].

قال الثوري سفيان رحمه الله: "ما رأيت للمؤمن مثلًا إلا كرجل في لجة –في بحر–، يقول: اللهم سلم، سلم كالغريق يخاف الغرق، هكذا المؤمن في الدنيا يخاف أن تغرقه ذنوبه" اللهم سلم سلم.

قال البخاري: "بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ".

ثم روى عن أنس رضي الله عنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ»[3] **قَالَ البخاري:** «يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ».

---

(١) – سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)

(٣) – أخرجه البخاري (٦٤٩٢).

وهذا مروي عن غيره ﷺ.

«إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا»؛ يقول هذا لمن؟ للتابعين.

«هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ»؛ لأنها من الصغائر، لا ترونها شيئًا فتحتقرونها.

وأما حال الصحابة: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ»؛ فهذا فيه بيان حال الصحابة، وشدة خوفهم من الذنوب، وتحذير غيرهم منها.

قال ابن بطال معلقًا على هذا الأثر في شرح البخاري: " إنما كانوا يعدون الصغائر من الموبقات".

كيف يعدون الصغائر من الموبقات؟!

قال: "لشدة خشيتهم لله، وإن لم تكن لهم كبائر، ألا ترى أن إبراهيم ﷺ إذا سئل الشفاعة يوم القيامة يذكر ذنبه، وأنه كذب ثلاث كذبات".

إنما يأتيه الناس للشفاعة ليشفع لهم في موقف القيامة يقول: "نفسي نفسي، كذبت ثلاث كذبات".

قال: "وهي قوله في زوجته: هذه أختي".

النمرود كان يأخذ كل امرأة إلا أخت الرجل، وهي في الحقيقة وإن كانت زوجته أخته في الدين.

"وقوله: إني سقيم. أي: سأسقم، وقوله: فعله كبيرهم هذا".

من باب إقامة الحجة، اسألوا هذا الصنم الكبير.

قال: "فرأى ذلك ﷺ من الذنوب، وإن كان لقوله وجه صحيح، فلم يقنع من نفسه إلا بظاهر يُطابق الباطن".

في هذا الموقف يحسب هذه الأمور التي هي مأوّلة ولها وجه صحيح يعتبرها كذبات، يعتذر بها عن الشفاعة.

قال: "وهذا غاية الخوف. والمحقرات إذا كثرت صارت كبائر بالإصرار عليها والتمادى فيها.

وقد روى ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أسلم أبى عمران أنه سمع أبا أيوب يقول: إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها ويغشى المحقرات، فيلقى الله يوم القيامة وقد أحاطت به خطيئته.

وإن الرجل ليعمل السيئة، فما يزال منها مشفقًا حذرًا حتى يلقى الله يوم القيامة آمنًا"[1].

وقال أبو بكر الصديق: إن الله يغفر الكبائر فلا تيأسوا، ويعذب على الصغائر فلا تغتروا".

☜الذي أخرج أباك من الجنة بذنب واحد لا تأمنه، والذي قطع يدك في ثلاثة دراهم لا تأمنه،

وقد تكاثرت الآثار في هذا عن الصحابة وعن غيرهم من الأئمة –رحمهم الله–

➢ فعن ابن مسعود ﷺ قال: «مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَزَلُوا بِأَرْضٍ قَفْرٍ مَعَهُمْ طَعَامٌ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا النَّارُ، فَتَفَرَّقُوا فَجَعَلَ هَذَا يَجِيءُ بِالرَّوْثَةِ، وَيَجِيءُ هَذَا بِالْعَظْمِ، وَيَجِيءُ هَذَا بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا مِنْ ذَلِكَ مَا أَصْلَحُوا بِهِ طَعَامَهُمْ، فَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْمُحَقَّرَاتِ، يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ، وَيُذْنِبُ الذَّنْبَ، وَيَجْمَعُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[2].

➢ وفي رواية عنه ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ مَثَلُ قَوْمٍ نَزَلُوا مَنْزِلًا لَيْسَ بِهِ حَطَبٌ وَمَعَهُمْ لَحْمٌ فَلَمْ يَزَالُوا يَلْقُطُونَ حَتَّى جَمَعُوا مَا نَضَّجُوا بِهِ لَحْمَهُمْ».

➢ وفي رواية عنه ﷺ أنه قال: « إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ تُعْبَدَ الأَصْنامُ بِأَرْضِ العَرَبِ، ولَكِنْ سَيَرْضى مِنكُمْ بِدُونِ ذَلِكَ، بالمَحَقَّراتِ وهِيَ المُوبِقاتُ يَوْمَ القِيامَةِ، فاتَّقُوا المَظالِمَ ما اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّ العَبْدَ يَجِيءُ بِالحَسَناتِ يَوْمَ القِيامَةِ وهُو يَرى أَنْ سَتُنَجِّيهِ، فَما زالَ عَبْدٌ يَقُومُ يَقُولُ: يا رَبِّ ظَلَمَنِي عَبْدُكَ فُلانٌ بِمَظْلِمَةٍ قالَ: فَيَقُولُ: امْحُوا مِن حَسَناتِهِ، قالَ: فَيَقُولُ: فَما زالَ كَذَلِكَ حَتّى لا يَبْقى مَعَهُ حَسَنَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ، وإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَسَفْرٍ نَزَلُوا بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ، لَيْسَ مَعَهُمْ حَطَبٌ، فَتَفَرَّقَ القَوْمُ لِيَحْتَطِبُوا، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنِ احْتَطَبُوا وأَنْضَجُوا ما أَرادُوا قالَ: وكَذَلِكَ الذُّنُوبُ »[3].

---

(١) – شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٢٠٢).

(٢) – جامع معمر بن راشد (٢٠٢٧٨).

(٣) – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٨٧٧).

☜ فلا تستحقر شيئًا من الذنوب الصغيرة، وتُصر عليها فإنها تتكاثر وتجتمع على صاحبها، ومن حاذر الصغائر وحاسب نفسه عليها كان أبعد ما يكون من الكبائر وضمن السلامة، ومن استبرأ الصغائر وتعودها اجتمعت عليه، وربما جرَّته إلى الكبائر **كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.**

⇦ وتأملوا حال النبي –عليه الصلاة والسلام–؛ كيف كان ينظر إلى الصغائر وهو الذي قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، يحذر أمته بأن لا يستهينوا بذنب وإن صغر.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ يُؤَاخِذُنِي اللهُ وَابْنَ مَرْيَمَ بِمَا جَنَتْ هَاتَانِ يَعْنِي الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا لَعَذَّبَنَا ثُمَّ لَمْ يَظْلِمْنَا شَيْئًا»(١).

النبي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وابن مريم من أولي العزم من الرسل، ولما يأتي الناس هؤلاء إلى الشفاعة كل منهم يعتذر بذنب؛ آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى إلا عيسى لا يذكر ذنبًا، ولكن يقول: "اذهبوا إلى محمد".

فالنبي –عليه الصلاة والسلام– مثَّل بنفسه المغفور له وبعيسى الذي لم يُذنب ذنبًا، ولم يذكر ذنبًا، لو أن الله آخذه وابن مريم بعمل هذين الإصبعين لاستحقا العذاب بلا ظلم من الله، فكيف بباقي الأصابع وباقي الجوارح؟!

وكان يُحذر الناس من مواقعة الذنوب الصغائر والمحقرات بشتى الطرق.

⇦من أمثلة ذلك:

➢ ما رواه أحمد بإسناد حسن عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «لَوْ غُفِرَ لَكُمْ مَا تَأْتُونَ إِلَى الْبَهَائِمِ لَغُفِرَ لَكُمْ كَثِيرًا»(٢).

الإنسان يخالط البهائم، ولا بد أن يقع منه في جنبها تقصير، ومعاصي وذنوب؛ بأن لا يُلاطفها ويقل رحمته بها، وقد يُقصر في إطعامها وشرابها وغير ذلك من حقوقها، قد يُحمّلها فوق طاقتها، أو

---

(١) – أخرجه ابن حبان (٦٥٧).

(٢) – أخرجه أحمد (٢٧٤٨٦).

يزجرها زجرًا لا تستحق أو يضربها، فلو غُفر للناس الذنوب التي يأتونها في تعاملهم مع البهائم لغُفر لهم شيئًا كثيرًا.

فلا تظن أنك في عافية من الذنوب، وتستحقر الصغائر، وانظر هذه التربية من النبي –عليه الصلاة والسلام– كيف ظهرت في حال الصحابة؟!

➢ تقدَّم معنا أثر أنس: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ»[1] هذا حال الصحابة، وهذا أثر تربية النبي –عليه الصلاة والسلام– فيهم؛ لا يستحقرون ذنبًا، يرون الصغائر التي يحتقرها الناس، ويراها التابعون أدق من الشعر موبقات.

«إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ»[2].

⇦ وتأمل حالهم العملية:

➢ **روى الحاكم عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قال عبد الله –أي ابن مسعود–:** «لَوْ تَعْلَمُونَ ذُنُوبِي مَا وَطِئَ عَقِبِي مِنْكُمْ رَجُلَانِ»[3].

هذا ابن مسعود يقول لطلابه، وهو من هو؟! مبشر بالجنة، مستجاب الدعوة، حبر من الكبار.

«لَوْ تَعْلَمُونَ ذُنُوبِي مَا وَطِئَ عَقِبِي مِنْكُمْ رَجُلَانِ وَلَحَثَيْتُمْ عَلَى رَأْسِيَ التُّرَابَ، لَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ غَفَرَ لِي ذَنْبًا مِنْ ذُنُوبِي، وَأَنِّي دُعِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوْثَةَ».

➢ وكان يقول: «لَوْ سَخِرْتُ مِنْ كَلْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ أُحَوَّلَ كَلْبًا».

فلا تستهن بذنب، وتبرر بأنه صغير لا يضر.

➢ **وقال ابن مسعود:** "إني لأحسب أن الرجل ينسي العلم قد علمه بالذنب يعمله".

---

(١) – سبق تخريجه.

(٢) – أخرجه البخاري (٦٣٠٨).

(٣) – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٢١).

وقرأ يومًا: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر الآية ٤٥] ؛ سبحان الله لو يؤاخذ الله ﷻ الناس بذنوبهم ما أبقى على الأرض دابة، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى.

➢ **قال ابن مسعود:** "كَادَ الْجُعْلُ أَنْ يُعَذَّبَ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ".

والسماء تقحط بذنب ابن آدم، والحبارى تموت في وكرها بذنب ابن آدم، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الرُّوم الآية ٤١].

➢ **قال ابن كثير:** "وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ، سَأَلَ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ التَّقْوَى"؛ كيف يتقون الذنوب ويُحاذرونها ، ويرونها شيئًا عظيمًا.

سَأَلَ عُمَرَ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ التَّقْوَى ليتعلم الناس فقه الصحابة، "فَقَالَ لَهُ: أَمَا سَلَكْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: شَمَّرْتُ وَاجْتَهَدْتُ".

شمرت عن ثيابي حتى لا يعلق بها الشوك، واجتهدت بأن لا تقع رجلي على شوك، "قَالَ: فَذَلِكَ التَّقْوَى".

وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى

وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد، قال: سمعت الْأَوْزَاعِيَّ يقول: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعصِيَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ».

من عمَّ إنعامه عليك وتولاك، ورباك، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، وهو مطلع عليك، لا يخفى عليه شيء من أمورك، كيف تتجرأ وأنت تعرف عظمته على عصيانه؟!

أبوك الذي أنعم عليك ورباك وإنعامه قاصر، الكلمة في حقه من السوء كبيرة، فكيف برب العالمين؟ الذي أوجدك من العدم، وأسبغ عليك النعم، لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت.

✍**وقال الفضيل:** "بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله".

فالذنب يعظم في القلب لعلم العبد بجلال الله وعظمته، فإذا نظر العبد على عظم من عصاه رأى الصغيرة كبيرة.

✍**قال ابن الجوزي:** "كثير من الناس يتسامحون في أمور يظنونها قريبة، وهي تقدح في الأصول؛ كاستعارة طلاب العلم جزءًا لا يردونه، وقصد الدخول على من يأكل ليأكل معه، وتناول طعام لم يدعَ الإنسان إليه، والتسامح بعرض العدو التذاذًا بذلك، واستصغارًا لمثل هذا الذنب، وإطلاق البصر هوانًا بتلك الخطيئة، وفتوى من لا يعلم لئلا يقال: هو جاهل، ونحو ذلك مما يظنه صغيرًا وهو عظيم".

☜**لا بد أيها الأفاضل** من لجم النفس عن الذنوب الصغيرة، واحتقار الذنوب، إياكم ومحقرات الذنوب؛ لأنها إذا اجتمعت أهلكت، فالأعواد الصغيرة تصبح إذا تهاون الناس بها نارًا كبيرة، فلا تتساهل بنظرة محرمة، أو كلمة غيبة، أو درهم شبهة، أو كذبة، أو سيجارة، أو سماع محرم أو أو أو أنت أعرف بحالك، الذنوب الصغيرة إذا اجتمعت أحرقت صاحبها، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

لا تتوسع في الضرورة وتُبرر لنفسك، البعض يكون قد شمَّر عن ثوبه واتبع سنة نبيه ثم يتساهل في الإرخاء شيئًا فشيئًا؛ حتى يتجاوز به المسموح، أو يتساهل في لحيته، ويبدأ يُهذب ويُهذب حتى يحلق، أو يتساهل في الاختلاط المحرم وغض البصر، فينظر حتى لا يقال عنه: متشدد، أو للحاجة، ثم يتوسع فيتبسّم مع الشابة، ثم ينبسط في المحادثة والنكت والضحك، والطبيب يتوسع في الكشف على النساء، والمرأة تتوسع في الكشف عند الطبيب والخادم والسائق.

سُلم التنازلات لا ينتهي، والإنسان إذا عوّد نفسه التنازل، واستمرأت نفسه ذلك سهُل عليه الذي يليه.

✍**قال ابن الجوزي:** "قال بعض السلف: تسامحت بلقمة فتناولتها" لقمة فيها شبهة أو حرام، "تسامحت بلقمة فتناولتها، فأنا اليوم من أربعين سنة إلى الخلف".

يُحرم الإنسان القرآن، يُحرم الذكر، يُحرم المناجاة بالليل، يحرم إدراك الجماعات، كلها ذنوب.

والإنسان إذا كثُرت ذنوبه لا يدري من أين أوتي.

قال ابن سيرين: "عيَّرت رجلًا فقُلت مفلس، فأفلست بعده أربعين سنة".

قال ابن الجوزي: "قلَّت ذنوبهم فعرفوا من أين أوتوا، وكثرت ذنوبنا فلم ندرِ من أين أوتينا؟!".

قال ابن الجوزي معلقًا على هذا الأثر، قال: "فَاللهَ اللهَ! اسمعوا ممن قد جرب! كونوا على مراقبة! وانظروا في العواقب! واعرفوا عظمة الناهي! واحذروا من نفخة تحتقر، وشررة تستصغر، فربما أحرقت بلدًا! وهذا الذي أشرت إليه، يسير يدل على كثير، وأنموذج يُعرف باقي المحقرات من الذنوب.

والعلم والمراقبة يعرفانك ما أخللت بذكره، ويعلمانك ما تلمّحت بعين البصيرة أثر شؤم فعله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ:[1] ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾ [المُطَفِّفِين الآية ١٤].

فاحذر أن تستحقر ذنبًا، حاسب نفسك على الصغائر قبل الكبائر، فالله ﷻ يغفر الكبائر فلا تيأس، ولا تُقارف الصغائر وتطمئن فتغتر، فالصغائر إذا اجتمعت أهلكت، فنسأل الله ﷻ أن يقينا شرور أنفسنا، وأن يحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وأن يُعيننا على طاعته وشكره وحسن عبادته، وأن يحفظ علينا إيماننا وبلدنا واستقرارنا وولاة أمورنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وجزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليه.

وجزاكم الله خيرًا.

---

(١) – أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٤).

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=٩٧١٥٥٥٤٠٩١٩١

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi٥eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA٩j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q٨M٧A٨

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 Vk في كي 】
https://vk.com/baynoonanet
【 Linkedin لينكدان 】
https://www.linkedin.com/in/٦٦٩٣٩٢١٧١-الشرعية-للعلوم-بينونة-شبكة
【 Reddit ريديت 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https://www.chaino.com/profile?id=٥ba٣٣e٠c٧٧٢b٢٣d٥bb٧daf٠a
【 Pinterest بنترست 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 Snapcha سناب شات 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/٣٣uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/٢Zvk٨OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/٣fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية